قضايا الأدب والإدباء

التطفل والارتزاق في الكتابة

بقلم : ياسر الفهد

لسنا معنيين في هذا المقال بالحديث عن لصوص الكتابة الذين يختلسون النصوص ويعيدون نشرها باسمائهم فقد كتبنا عن ذلك في مقال اخر ولكننا هنا بصدد تعرية اولئك الذين يقفون فيمنتصف الطريق بين الكتاب الحقيقيين ولصوص الكتابة . انهم الكتاب المرتزقون الذين نقرأ لهم في الصحف والمجلات مقالات عميقة مطولة في اختصاص معين دون ان تكون لهم دراية او خبرة بهذا الاختصاص من بعيد او قريب . تراهم يكتبون في الادب وهم لا يمتون اليه بصلة ، وفي الطب مع انهم ليسوا اطباء ، وفي العلوم وهم غير مختصين بها ، وفي السياسة ولا خبرة لهم فيها ... هاجسهم الوحيد تجميع المقالات ثم نشرها على انها من تاليفهم او اعدادهم وقبض قيمة تعويضاتها ، ومجالهم الفسيح الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية بشكل خاص . ولا يمكننا تفسير قدرتهم على خلق المقال بلمسة سحرية وبمدة لا تزيد عن ساعات معدودات الا بالافتراض ، بل وبالجزم ، بان هؤلاء المرتزقة يقرؤون مقالا في كتاب او في احدى الصحف والمجلات القديمة التي تصدر في غير البلد الذي يقيمون فيه ، او في بعض النشرات التي يندر تداولها، فيغيرون عنوانه ويضيفون اليه مقدمة موجزة ويبدلون تسلسل فقراته ونصوصه ويجرون تعديلات طفيفة اخرى فيتكون عندهم مقال بجلباب جديد وحلة خداعة وينشرونه على انه من بنات افكارهم !

ان جهدهم الشخصي في مثل هذه المقالات يكاد يكون معدوما « وبنات افكارهم » غائبة كلية عن المسرح فهم يحورون المقال مع المحافظة على هيكله الاصلي وافكاره الرئيسية . والجمل والعبارات التي يدخلونها لا تخرج في معناها ومداولها عن الجمل والعبارات الاصلية . وكثير من هذه المقالات يدور حول شخصيات فكرية او ادبية او سياسية لان باب النقل في هذا المجال مفتوح على مصراعيه بالنسبة لهم . اننا كثيرا ما نقرأ (مقالات كبيرة) (لاشخاص صغار) ان صح التعبير وعندما نناقش هؤلاء في الموضوعات التي يكتبون عنها تاخذنا الدهشة حينما نكتشف انهم يبدون جهلا مطبقا بها . وسرعان ما نتبين ان حدود ثقافتهم ومعرفتهم ادنى بكثير من المستوى الذي يستلزمه تاليف الدراسات التي يتطعون لكتابتها ويدعون العلم بها . هؤلاء المرتزقة الادعياء الذين خلعوا برقع الحياء وتعروا من كل قيمة اخلاقية ولم يقيموا للقلم حرمته يمكن ان نسميهم لصوص كتابة او اشباه كتاب او كتابا مرتزقة او ادعياء كتابة ولكنهم حتما ليسوا كتابا مبدعين ولا يمكن بحال من الاحوال ان يستووا مع الكتاب الحقيقيين الذين يعتصرون كتاباتهم من اشداق العرق والنصب والكد ، فيبتكرون الافكار وينشئون العبارات ولا يعتمدون على المراجع الا بدرجة معينة . صحيح انهم يستفيدون من الحقائق والمعلومات التي تحتويها المصادر التي بين ايديهم ولكن المقالات التي يؤلفونها في النهاية يكون لها طابعها الخاص وملامحها المميزة وتذكر فيها دون مواربة اسماء المراجع التي استعين بها . مجال التفريق بين الاديب الاصيل المبدع والاديب المزيف المرتزق واسع وكبير: الاديب المبدع الذي القت له اللفة مقاليدها يكتب خاطرة او فكرة او تعليقا ... يؤلف قصة او مسرحية او قصيدة جديدة ... يلخص كتابا ويعرضه عرضا نقديا ويناقش افكاره ... يكتب مقالا في حدود اختصاصه او خبرته ... يؤلف كتابا بوحي وهدي من مطالعاته ودراساته الشخصية ... انه لا يفتر عن العطاء الاصيل المخلص الذي يعبر عن ذاته ويستمد نسغه من تربة فكره الثر الخصيب ومن لدن خياله المجنح المحلق ... انه يكتب باستمرار حول كل ما يجول في خاطره ويضطرب في نفسه ويعتمل في وجدانه ... ولا يالو جهدا في الافصاح بصراحة عن مشاعره والافضاء بجرأة بمكنونات صدره والبوح بقوة بما يعتلج في حنايا صدره . انه باختصار يخلق ويبدع وينشىء ويضيف اضافات جديدة .

وحتى المترجم القدير يمكن ان نضعه في مصاف الاديب المبدع وان كان الكثيرون يحاولون ان يغمطوه هذا الحق . اما الاديب المتطفل فيدرس افكار نص ويصوغها صياغة جديدة دون منافسة في احسن الاحوال او يجمع الحقائق من عدة مقالات وينسقها لتشكل مقالا جديدا ... انه يقتبس فكرة قصة او مسرحية قديمة ويقدمها باسلوب جديد .. تراه دائما يطرق ابواب الصحف والمجلات استجداء للنشر وفي جعبته المقالات والقصص ... الصحافة بالنسبة اليه مجال ابتزاز والنشر اداة ارتزاق .

والان : لقد تمادى المتطفلون على الكتابة في كثير من الصحف والمجلات العربية وبات من الواجب العمل على كشفهم ومعاقبتهم والتفريق بينهم وبين الكتاب الحقيقيين حتى لو ادى ذلك الى اغضاب بعض الناس فالمصلحة الاعلامية والصحفية يجب ان تعلو على كل مصلحة شخصية وتحجب منطق المحسوبيات والوساطات والمداهنات ـ وتغيب اسلوب النفعية . ان لهزلة الارتزاق في الكتابة انعكاسات سيئة على الحركة الادبية وهي تلقي بظلها الكئيب على العمل الصحفي وتشوه سمعته نظرا لانها تمثل اسفافا بفن الكتابة وانزلاقا بالادب الى مهاوي الترخيص وتمريغا بالكلمة في اوحال الابتذال ودرك الابتزاز . المرتزقة من الكتاب يستطيعون اغراق السوق الصحفية بعشرات بل مئات الاعمال المزورة فيضيع الحابل بالنابل ويختلط العمل القيم الاصيل بالعمل المبتذل الرخيص ... الكاتب المبدع يقدح زناد فكره ويستلهم وجدانه فيصل الليل باطراف النهار ويكاد ينقطع عن العالم المحيط به حتى يستطيع في النهاية ان ينتج عملا واحدا محترما يسمق به الى قمة التقدير ... في حين ان الكاتب المتطفل يخلق العمل الكتابي بلمح البصر ويدفع به بسرعة خيالية الى سوق النشر ، والمعروف ان الشيء ترتفع قيمته اذا ندر وتهبط اذا كثر ، مما يعني ان وجود اشخاص قادرين على (فبركة وتفريخ) اعداد كبيرة من المقالات بسرعة غريبة سيؤدي الى التقليل من قيمة المقالات واهميتها وفقدانها هالتها الفكرية المتالقة والى تخفيض قيمة التعويضات التي تمنح لقاء الاعمال المنشورة لان وفرة هذه الاعمال تجعل عامل العرض والطلب في صالح المسؤولين عن النشر دائما لا في صالح الكتاب . ان رؤساء التحرير ومسؤولي الاعلام والكتاب انفسهم مدعوون الى محاربة المرتزقة من الكتاب الذين تنكبوا جادة الصواب وابوا ان يقرعوا باب الحياة الادبية بشرف وآثروا منطق التطفل والارتزاق والنفعية على منطق الجد والعمل والابداع وان يعاملوهم على صعيد واحد مع لصوص الكتابة فيكفوا بدهم عن الكتابة ويقصوا اجنحتهم حرصا على مصلحة الحركة الادبية وسمعة العمل الصحفي .

ويمكننا على سبيل المثال ان نقترح انشاء هيئة خاصة تتبع القسم الثقافي في الجامعة العربية تتولى مراقبة انتاج الكتاب والادباء في جميع انحاء العالم العربي وتقوم بمهمة كشف لصوص الكتابة والكتاب المرتزقين في آن واحد . وعندما تكتمل لديها الدلائل والوثائق التي تشير الى ان كاتبا معينا يمارس سرقة المقالات او تحويرها تعمد الى ابلاغ وزارة الاعلام او اتحاد الكتاب في البلد الذي يقيم فيه هذا الكاتب حول نشاطاته الادبية غير المشروعة حتى تتخذ بحقه الاجراءات اللازمة .

دمشق